

تفسير البحر المحيط

@ 377 عليه السلام ، إثر فراغ لفظ المدعي ، ولا فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب ، ف قيل ذلك على تقدير ، أي لئن كان ما تقول ، { لَقَدْ ظَلَمَكَ } . وقيل : ثم محذوف ، أي فأقر المدعي عليه فقال : { لَقَدْ ظَلَمَكَ } ، ولكنه لم يحك في القرآن اعتراف المدعي عليه ، لأنه معلوم من الشرائع كلها ، إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعي عليه . فأما ما قاله الحلبي من أنه رأى في المدعي مخايل الضعف والهزيمة ، فحمل أمره على أنه مظلوم ، كما تقول ، فدعاه ذلك إلى أن لا يسأل المدعي عليه ، فاستعجل بقوله : { لَقَدْ ظَلَمَكَ } ، فقوله ضعيف لا يعول عليه . وروي أن داود ، عليه السلام ، لما سمع كلام الشاكي قال للآخر : ما تقول ؟ فأقر فقال له : لئن لم ترجع إلى الحق لأكسرن الذي فيه عيناك ، وقال للثاني : { لَقَدْ ظَلَمَكَ } ؛ فتبسم عند ذلك وذهبا ، ولم يرهما لحيته ، ورأى أنهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه . وأضاف المصدر إلى المفعول ، وضمن السؤال معنى الإضافة ، أي بإضافة نعتك على سبيل السؤال والطلب ، ولذلك عداه بالي . . { وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ أَعْلَىٰ بَعْضًا } : هذا من كلام داود ، ويدل على أن زمانه كان فيه الظلم والاعتداء كثيرا . والخلطاء : الشركاء الذين خلطوا أموالهم ، الواحد خليط . قصد داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة ، والترغيب في إثارة عادة الخلطاء الصالحاء الذين حكم لهم بالقلة ، وأن يكره إليهم الظلم ، وأن يسلي المظلوم عن ما جرى عليه من خليطه ، وأن له في أكثر الخلطاء أسوة . وقرء : ليبغي ، بفتح الياء على تقدير حذف النون الخفيفة ، وأصله : ليبغين ، كما قال : . اضرب عنك الهموم طارقتها يريد : اضربن ، ويكون على تقدير قسم محذوف ذلك القسم ، وجوابه خير لأن . وعلى قراءة الجمهور ، يكون ليبغي خيرا لأن . وقرء : ليبيغ ، بحذف الياء كقوله : .

محمد تفد نفسك كل نفس .

أي : تفدي على أحد القولين . و { قَلِيلٌ } : خبره مقدم ، وما زائدة تفيد معنى التعظيم والتعجب ، وهم مبتدأ . { وَظَنَّ * دَاوُدُ } : لما كان الظن الغالب يقارب العلم ، استعير له ، ومعناه : وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصمين . وأنكر ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين . وقال : لسنا نجد في كلام العرب ، وإنما هو توقيف بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر ، وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس ودلالة اليقين التام ، ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون : ظن بمعنى أيقن ، وطول ابن عطية في

ذلك بما يوقف عليه في كتابه . وقرأ الجمهور : { فَتَنَّاكَ } ؛ وعمر بن الخطاب ، وأبو رجاء ، والحسن : بخلاف عنه ، شد التاء والنون مبالغة ؛ والضحاك : أفتناه ، كقوله : .
لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت .

وقتادة ، وأبو عمرو في رواية ؛ يخفف التاء والنون ، والألف ضمير الخصمين . {
فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } ، راعياً : حال ، والخرور :
الهويّ إلى الأرض . فإما أنه عبر بالركوع عن السجود ، وإما أنه ذكر أول أحوال الخرور ،
أي راعياً ليسجد . وقال الحسن : لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع . وقال الحسن بن الفضل :
آخر من ركوعه ، أي سجد بعد أن كان راعياً وقال قوم : يقال خر لمن ركع ، وإن لم ينته
إلى الأرض . والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من
الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم طائناً
أنهم يغتالونه ، إذا كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه . فلما اتضح له أنهم جاءوا في
حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم
عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من الله له أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان طنه ،
فاستغفر من ذلك الظن ، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه ، وخر ساجداً ، أو رجع إلى الله
تعالى فغفر له ذلك الظن ؛ ولذلك أشار بقوله : { فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ } ،